العلو والنزول
وأثره في الإسناد

الدكتور

حسن كمال حسن القصبى

مدرس الحديث وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين ـ القاهرة

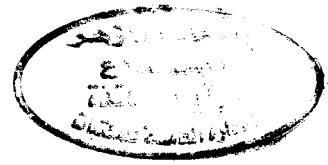

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه و نستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له . وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، و أشهد أن محمد عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (٣).

أما بعد ،

فإن السنة النبوية هى المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم ومرتبتها في الحجية تلى مرتبة القرآن ، واتباعها واجب كالقرآن الكريم ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يتبعوا النبي ﷺ في كل أفعاله فقال سبحانه ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٤).

---

(١) آل عمران / ١٠٢ .
(٢) النساء / ١ .
(٣) الأحزاب / ٧٠/ ٧١ .
٤) النساء / ٨٠ .

وقد بين الله سبحانه وتعالى مهمة رسوله ﷺ بالنسبة للقرآن الكريم وأنه مبين له ، وموضح لمراميه حين يقول سبحانه ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١). ولذلك هيأ الله سبحانه وتعالى رجالاً شمروا عن ساعد الجد فبذلوا النفس والنفيس فداء منهم لسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة والتسليم فكانوا بحق كما قال أبو حاتم : فرسان هذا العلم الذين حفظوا على المسلمين الدين وهدوهم إلى الصراط المستقيم ، الذين آثروا قطع المفاوز على التنعيم في الديار والأوطان في طلب السنن في الأمصار وجمعها بالوجل والأسفار ، والدوران في جميع الأقطار حتى أن أحدهم ليرحل في الحديث الواحد الفراسخ العديدة ، وفي الكلمة الواحدة الأيام الكثيرة لئلا يدخل مُضل في السنن شيئا يضل به ، وإن فعل فهم الذابون عن رسول الله ﷺ ذلك الكذب والقائمون بنصرة الدين (٢).

فاهتموا بالسند لأنه الموصل إلى المتن الذى هو عبارة عن ألفاظ النبى ﷺ ، وقسموه إلى أقسام للعلو والنزول ، وأردت في هذا البحث أن أظهر أهمية الإسناد وأقسام العلو والنزول ولقد قسمت البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة .

أما المقدمة فتحدثت فيها باختصار عن مكانة السنة واهتمام العلماء بالإسناد لأنه الموصل إلى معرفة الصحيح من الضعيف من الحديث .

---

(١) النحل / ٤٤ .

(٢) المجروحين ١ / ٢٧ .

وأما الفصل الأول في الإسناد : فيشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإسناد .

المبحث الثاني : أهمية الإسناد في حياة الأمة .

المبحث الثالث : مظاهر توثيق السنة .

المبحث الرابع : اهتمام العلماء بالإسناد والحيطة فيه .

وأما الفصل الثاني : فيشمل العلو .

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : تعريف العلو والنزول .

المبحث الثاني : أقسام العلو والزياده .

المبحث الثالث : أقسام النزول .

المبحث الرابع : ترجيح العلو على النزول والعكس .

أما الخاتمة : فتشتمل على أهم النتائج التى توصلت إليها من خلال البحث . ثم ختمت بفهرس للمراجع وفهرس للموضوعات .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول
في الإسناد

ويشتمل على أربعة مباحث : -

المبحث الأول : تعريف الإسناد .

المبحث الثاني : أهمية الإسناد في حياة الأمة .

المبحث الثالث : مظاهر توثيق السنة .

المبحث الرابع : اهتمام العلماء بالإسناد والحيطة فيه .

المبحث الأول

تعريف الإسناد

الإسناد لغة : السَّنَدُ : مـا ارتفع عن الأرض في قُـبـل الجـبل أو الوادى ويجمع على أسـناد ، وكل شئ أسندت إليه شيـئا فهـو مسند ، وقد سند إلى الشئ يسند سنوداً واستند وتسـاند وأسند ، وأسند غيره ، وأسند الحديث : رفع إلـى قائله ، والمسند من الحديث مـا اتصل إسناده حتى يسند إلى النبي ﷺ [1].

واصطلاحا : سلسـلة الرجـال الموصلة للـمتن ، وسـمـى سنداً لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث و ضعفه عليه [2].

---

(١) لسان العرب ٣/ ٢١١٤ ـ مختار الصحاح / ٣١٦ .

(٢) توجيه النظر / ٢٥ ـ حاشية لقط الدرر / ٢٤ ـ تيسير مصطلح الحديث/ ١٦ .

المبحث الثانى

أهمية الإسناد في حياة هذه الأمة

فضل الله تعالى هذه الأمة بخاصية الإسناد دون سائر الأمم ، وهو ركن من أركانها الذى بنى عليه أصل الإسلام ، فلولا الإسناد لما وصلت إلينا السنة النبوية ناصعة البياض كما نراها الآن ، ولما علمنا كثيرا من أحكام الشرع التى بينتها السنة النبوية ، فكثيرا ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة غير مفصلة ، أو مطلقة غير مقيدة ، كالأمر بالصلاة جاء مجملا لم يبين في القرآن عدد ركعاتها ولا هيئتها ولا أوقاتها ، فجاءت السنة النبوية فوضحت كيفية إقام الصلاة ببيان أركانها وسننها وكيفية أدائها وغير ذلك من أحكامها ، وكذلك كثير من الأحكام التى لا يمكن تنفيذها دون الوقوف على شرح ما ، يتصل بها من شروط وأركان ومفسدات [1] .

قال ابن حزم : نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل ، وأما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود ، ولكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ بل يقفون بحيث يكون بينهم و بين موسى أكثر من ثلاثين عصر وإنما يبلغون إلى شمعون ونحوه ، وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط ، وأما النقل بالطريق

---

(١)السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ٥٩ .

المشتمل على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ، وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن لليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبى أصلا ولا إلى تابع له [1] .أ . هـ

قال محمد بن حاتم بن المظفر : إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد ، وليس لأحد من الإمم كلها قديما وحديثا إسناد ، وإنما هو صحف في أيديهم ، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم ، فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والإنجيل ، وبين ما ألحقوه بكتبهم من الأخبار التى أخذوها من غير الثقات [2]. أ . هـ

وقال أبو على الجيانى : خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها : الإسناد ، والأنساب ، والإعراب .

وقال أبو حاتم الرازى : لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق آ دم أمة يحفظون آثار الرسل إلا في هذه الأمة [3].

---

(١) تدريب الراوى ٢/ ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٢) حاشية لقط الدرر / ١٠٧ .
(٣) تدريب الراوى ٢ / ١٦٠ .

المبحث الثالث

مظاهر توثيق السنة

نظراً لأهمية السنة في حياة الأمة فقد اهتمت بتوثيقها والحفاظ عليها ، ومن أجل ذلك نشأ علم مصطلح الحديث الذى عرفه العلماء بأنه : علم بأصول وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول والرد [1] . فإذا نظرنا في كل فن منه وجدناه يسير في الحفاظ على السنة المكونة من السند والمتن فمثلا : لو نظرنا في طرق التحمل والأداء لوجدنا أن العلماء يقدمون أولاً : السماع من لفظ الشيخ على غيره من طرق التحمل كالكتابة والمناولة والإعلام وغيرها ، وجعلوه أعلى أقسام التحمل ، وكذلك في ألفا ظ الأداء جعلوا من الألفاظ ما هو على سبيل التوثيق كسمعت ، وحدثنى وما هو على سبيل التمريض ، كقيل ، وروُى ، وحُكى ، بل إنهم في السماع كذلك يقدمون لفظ سمعت بالإفراد على سمعنا بالجمع لما فيه من زيادة الاختصاص بالسماع ، وكذلك لفظ حدثني على لفظ حدثنا ، وأخبرنى على أخبرنا . وكذلك لو نظرنا إلى مراتب الجرح والتعديل نجد أن العلماء جعلوا أعلى المراتب في التعديل مادل على المبالغة في التوثيق أو كان على وزن أفعل وهى أرفعها مثل : فلان إليه المنتهى في التثبت ، أو فلان أثبت الناس ومن هذه المظاهر ما يلى :

---

(١) حاشية لقط الدرر / ٣ ـ تيسير مصطلح الحديث / ١٥ .

أولاً : الاهتمام ببيان حال الرواه من جهة الجرح والتعديل :

كان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من الأئمة من معرفة رواة الحديث معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب ، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم وتتبعوهم في مختلف حياتهم ، ونقلوا لنا أقوال علماء الجرح والتعديل فيهم حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة [١].

قال سفيان الثورى : « لما استعمل الراوة الكذب استعملنا لهم التاريخ » [٢].

وكان من أمانتهم أنهم يظهروا حال الراوى وإن كان ذا صلة بهم فهذا علي بن المدينى يقول لمن سأله عن أبيه : « سلوا عنه غيرى ، فأعاد المسألة ، فأطرق ثم رفع رأسه فقال : هو الدين : إنه ضعيف » [٣] وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكثر غلطه والمتهم في حديثه حتى يحتاط الناس في الإخذ منهم .

قال عبد الرحمن بن مهدى : سألت شبعة ، وابن المبارك ، والثورى ، ومالك بن أنس عن الرجل يتهم بالكذب فقالوا : انشره فإنه

---

(١) شرف أصحاب الحديث / ٣٨ ـ منهج توثيق السنة / ٣٠ .
(٢) الكامل لابن عدى ٣/ ٤ .
(٣) إعلام الموقعين ١/ ٨٦ .

دين [1].

وقد نص عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ على العدالة التى يجب أن يتصف بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته في كتابة إلى أبى موسى حيث قال : والمسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجربا عليه شهادة زور أو مجلوداً في حد فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر» [2].أ . هـ

ثم جاء من بعده الصحابة والتابعون وبينوا من تترك روايته ومن لا تقبل روايته ولو تاب كالوضاعين الكذا بين على رسول الله ﷺ وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب .

قال الإمام مالك : « لايؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ من سوى ذلك : لايؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه ، وإن كان من أروى الناس ، ولامن رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺولامن رجل له فضل و صلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحدث [3].أهـ

وقال الإمام الشافعي : « كان ابن سيرين وإبراهيم و غير واحد من التابعين يذهبون إلى ألا يقلبون الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى

---

(١) مقدمة التمهيد / ١٢ ـ السنة قبل التدوين / ٦٦ .
(٢) إعلام الموقعين ١/ ٨٦.
(٣) الجرح والتعديل ١ / ٢٣ ـ الكفاية في علم الرواية / ١١٦ - السنة قبل التدوين / ٢٣٧ .

ويحفظ وما رأيت أحداً من أهل العلم يخالف هذا ا لمنهج » أ . هـ[1].

ولقد سار على هذا المنهج العلماء منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف في القرن الثالث الهجرى من توضيح لأحوال الرواة حتى نعلم المقبول منهم والمتروك ولقد أُلف فى علم الجرح والتعديل مصنفات كثيرة منها الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبى حاتم ، وتهذيب التهذيب ، والتقريب لابن حجر ، وسير أعلام النبلاء، وميزان الإعتدال للذهبى ، وغيرهم كثير مما يجعل الأمرسهلاً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب من الأسانيد والمتون .

ثانيا : الرحلة في طلب الحديث :

اهتم العلماء بسماع الحديث من أفواه الصحابة والتابعين ، ومن أجل ذلك كانت الرحلةفي طلب الحديث هى دأب الجميع حتى يحظى بسماع الرواية ممن سمعها من رسول الله ﷺ أو من الصحابة والتابعين،وكان المقصود من ا لرحلة في الحديث أمرين : أحدهما : تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ، وثانيها : لقاء الحفاظ والمذاكرة عليهم والاستفادة منهم[2].

ولقد انقضى عصر الشيخين « أبو بكر وعمر » والسنة محفوظة في صدور الصحابة غير شائعة الانتشار كثيرا في الأقطار لأن عمر

---

(١) مقدمة التمهيد / ١٠ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى والسامع / ٣٧٨ .

رضي الله عنه منع أكثر الصحابة من مغادرة المدينة إلا لأفراد اقتضت المصلحة خروجهم لأن سياسة كانت تقوم على وفر العناية بالقرآن وتقليل الحديث عن رسول الله ﷺ منعا للتزيد فيه واحتراسا من الخطأ والوهم في روايته ، فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن يتفرقوا في الأمصار ، واحتاج الناس إلى الصحابة وخاصة صغارهم بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوما بعد يوم فاجتهد صغار الصحابة بجمع الحديث من كبارهم فكانوا يأخذونه عنهم ، كما كان يرحل بعضهم إلى بعض من أجل الحديث [1].

فقد أخرج الإمام البخارى في الأدب المفرد [2]، وأحمد [3]، والحاكم [4] ـ و اللفظ له ـ عن جابر بن عبد الله قال : بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ لم أسمعه منه ، فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلى ، ثم سرت إليه شهرا حتى قدمت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى فأتيته فقلت له : حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ لم أسمعه ، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« يحشر الناس غرلا بهما » قلنا

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ٧٧ .
(٢) الأدب المفرد ٢/ ٤٣٣ .
(٣) أحمد في مسنده : ٣/ ٤٩٥ .
(٤) الحاكم في المستدرك :٢/ ٤٢٧ ، ٤٢٨ صححه ووافقه الذهبى .

وما بهم ؟قال ليس معهم شئ فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصها منه ، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصه منه ، حتى اللطمة ، قلنا : كيف ؟ وإنما نأتى الله عراة غرلا بهما ؟ قال: « الحسنات والسيئات » .

قال أبو قلابة : « لقد أقمت بالمدينة ثلاثا ما لى حاجة إلا رجل عنده حديث يقدم فأسمعه منه » (١).

وقال سعيد بن المسيب :« إن كنت لأغيب الأيام والليالى في طلب الحديث الواحد » (٢).

ويقول الإمام الأوزاعي : كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف على الصيارفة فما عرفوا منه أخذناه ، وما تركوا تركناه »(٣) أ . هـ .

وبذلك ابتدأت رواية الحديث تأخذفي السعة والانتشار ، وبدأت الأنظار تتجه بعناية شديدة أكثر من قبل إلى صحابة رسول الله ﷺ يحرص التابعون على لقياهم ونقل ما في صدورهم من علم ، قبل أن ينتقلوا إلى الرفيق الأعلى ، ولقد كانت زيارة الصحابى لمدينة من

---

(١) الرحلة في طلب الحديث / ١١٨ .
(٢) الجامع لأخلاق الروای والسامع / ٣٨٠ .
(٣) الجرح والتعديل ١/ ١٢ .

المدن الإسلامية كافية لأن تجمع أهل المدينة كلها حوله ويشتد الزحام ساعة وصوله وتشير الأصابع أن هذا صاحب رسول الله ﷺ [1].

ثالثا: أمانة الرواة في نقلهم للأحاديث:

حتى أنهم كانوا يصفون حال النبى ﷺ وهو يروى الحديث ، وكذلك حال الرواى الأعلى وما ذلك إلا من أجل توثيق الرواية كما يظهر هذا في حديث عمر رضي الله عنه عندما يصف الهيئة التى كان جبريل عليه السلام يجلس فيها مع النبى ﷺ وهو يعلمه أمور الإسلام في الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ... إلى أن قال : حتى جلس النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه .. » [2] فيصفه أنه جلس على هيئة المتعلم ، وكذلك في حديث عبادة ابن الصامت في بيعة النساء وهو يصف حال الصحابة عندما كان يبايعهم النبى ﷺ : (أن رسول الله ﷺ قال : « وحوله عصابة من أصحابه » : بايعونى) [3].

فما ذكرت هذه الجملة إلا للتوثيق بالرواية ، وأن الراوى يذكر الحديث بجميع ظروفه وهيئاته [4].

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ٧٨ .

(٢) مسلم في صحيحة : كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١ / ٣٦ رقم ١ .

(٣) البخارى في صحيحه : كتاب الإيمان ـ با ب علامة الإيمان حب الأنصار ١/ ٨١ رقم ١٨ .

(٤) المنهل الحديث ١/ ١٦.

رابعا : عناية الصحابة بالإسناد خاصة :

وذلك عن طريق تحرى الصحابة والتابعين للأحاديث وخاصة مع ظهور الفتنة ، ويشهد لذلك ما أخرجه الإمام مسلم في مقدمته عن ابن سيرين قال : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم »[1].

وأخرج الإمام مسلم أيضا في مقدمته أن بشير بن كعب جاء إلى ابن عباس فجعل يحدثه فقال : عد لحديث كذا وكذا فعاد له ثم حدثه فقال له : عد لحديث كذا وكذا فعاد له فقال : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا ، أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله ﷺ إذ لم يكن يكذب عليه فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه »[2].

وأخرج ابن عبدالبر عن ابن شهاب أن ابن عباس قال : كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ فلو أشاء أن أرسل إليه حتى يجيئنى فيحدثني فعلت ولكني كنت أذهب إليه فأقيل على بابه حتى يخرج إلىّ فيحدثنى »[3].

ولقد روى الإمام الذهبى في ترجمة أبى بكر الصديق أنه كان

---

(١) مقدمة صحيح مسلم : ١/ ١٥ .
(٢) مقدمة صحيح مسلم : ١/ ١٣ .
(٣) جامع بيان العلم : ١/ ٩٤ .

أول من احتاط في قبول الأخبار ، ثم روى من طريق ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث قال : ما أجد لك في كتاب الله شيئا ، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس فقال له : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر »[1]، وكذلك ما روى عن أبى سعيد الخدرى : أن أبا موسى سلم على عمر من وراء ا لباب ثلاثا فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر في أثره فقال : لم رجعت ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا سلم أحدكم ثلاثا فلم يجب فليرجع »[2]قال : لتأتينى على ذلك ببينة أو لأفعلن بك ، فجاءنا أبو موسى ممتقعا لونه ونحن جلوس فقلنا : ما شأنك ؟ فأخبرنا وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا: نعم ، كلنا سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم فأخبره »[3].

ولا يفهم من ذلك أن خطة أبي بكر وعمر في الحديث ألا يقبلا حديث إلا ماروواه اثنان فأكثر لأنه لم يثبت أن أبا بكر طلب روايا آخر إلا في تلك الحادثة[4]، ولأنه كان يصاحب النبى ﷺ فى كل حياته ، فيصعب أن يكون هناك حكما لا يعرفه فأراد أن يتأكد من ذلك الحكم ، و أما ما ورد عن عمر في رده لرواية أبى موسى فهو محمول على أن

---

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ٢ .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده : ٤ / ٣٩٤ .
(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٦ .
(٤) الرسالة للشافعى / ٤٣٤ .

الإستئذان أمر يتكرر فالمعهود أن تعرف أحكامه وتشيع ، فلما أخبره أبو موسى بما لا يعرفه أراد أن يتثبت ، ويدل على ذلك قوله لأبى موسى : أما أنى لم أتهمك ولكنه الحديث عن رسول الله ﷺ ، وكذلك أن عمر قد ورد عنه أنه أخذ بحديث رواه صحابى واحد دون توقف أو تشكك [١].

خامسا : عناية التابعين بالإسناد :

اهتم التابعون بالإسناد اهتماماً خاصا تبعا لسلفهم من الصحابة وليقينهم بأهميته بالنسبة لتوثيق السنة وليس أدل على ذلك من أقوالهم

قال عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » [٢].

وقال محمد بن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » [٣].

وقال سفيان الثورى : « الإسناد سلاح المؤمن إذا لم يكن معه سلاح ، فباى سلاح يقاتل » [٤].

وقال عبدالله بن المبارك : مثل الذى يطلب أمر دينه بلا إسناد

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي / ٧٤ ، ٧٥ .
(٢) و (٣) مقدمة صحيح مسلم ١/ ١٤،١٥ ـ الجرح والتعديل ١ / ١ / ١٥.
(٤) المجروحين ١/ ٢٧ .

كمثل الذى يرتقى السطح بلا سلم » [1].

وقيل ليحيى بن معين في مرض موته : ماتشتهى ، قال : اشتهى إسنادا عليا وبيتا خالياً » [2].

وقال أحمد بن حنبل : طلب الإسناد العالى أو قدم سماع الراوى أو وفاته سنة عمن سلف » [3].

سادسا : وضع قواعد لمعرفة الوضع الوضاعين :

لم يشع الكذب في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين من بعده وما كان بينهم من خلاف فقهى فلا يتعدى اختلاف وجهة نظر في أمور الدين ، وكان الكذب في عهد كبار التابعين أقل منه في عهد صغارهم لوجود الصحابة وكبار التابعين ، ولما كانوا عليه من الورع و التدين ، ولأن الخلاف السياسى كان في أول عهدهم بسيطا، كل ذلك كان سببا في تضييق بواعث الوضع و الحد من الكذب ، ولما كان الشيعة هم أول من تجرأ على ذلك فيمكننا الحكم بأن أول بيئة نشأ الوضع فيها هى العراق ، وكان الإمام مالك يسمى العراق دار الضرب أى تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم ويقول : نزّلوا أحاديث أهل العراق منزلة أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم .

وقال ابن شهاب : « يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود من

---

(١) حاشية لقط الدرر / ١٠٦ .
(٢) المقدمة / ١٣٠ .
(٣) حاشية لقط الدرر / ١٠٧ .

العراق ذراعا » وذلك لبعد العراق عن الحجاز لوجود أخلاط المسلمين من مختلف الأمم وظهور المذاهب المختلفة في العراق من معتزلة ومرجئة وأصناف المتكلمين وكل صنف من هؤلاء يؤيد رأيه بتأويل القرآن واختلاف الحديث [1].

من أجل ذلك وضع العلماء ضوابط يعرف بها الوضع في السند والمتن و بينوا لنا أسباب الوضع حتى نستطيع التعرف على الحديث الموضوع فمن علامات الوضع في السند :

١ ـ أن يكون راوية كذبا معروفا بالكذب ولا يرويه ثقة غيره .

٢ ـ أن يعترف واضعه بالوضع ، كما ا عترف أبو عصمة نوح بن أبى مريم بوضعه أحاديث فضائل السور .

٣ ـ أن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقياه له أو ولد بعد وفاته، أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه .

٤ ـ معرفة حال الراوى وبواعثه النفسية مثل ما وقع من سعد بن طريف حين جاء ابنه من الكتاب يبكى ، فقال ما لك ؟ قال : ضربنى المعلم ، قال : لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : « معلموا صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين » .

ولم تصل أمة من الأمم إلى ما وصلت إليه الأمة الإسلامية في

(١) أضواء على مصطلح الحديث / ١٠٩ .

التحقيق وا لضبط ، فقد عنى رجال ا لحديث بالسنة عناية لم يجد معها أهل الأهواء ثغرة ينفذون منها إلى نقض قواعدهم العلمية ، ولذا كان نقد بعض المستشرقين والمغرضين وأمثالهم يتجه إلى المتن زعما منهم أن المتن لم يلق من رجال الحديث مثل ما لقيه السند من العناية [1].

علامات الوضع في المتن:

بذل علماء السنة جهودا مشكورة وعناية فائقة بالمتن ، وذلك عن طريق بحث ودراسة الصفات التى يجب توافرها في صحة المتن وبيان العلامات الدالة على وضعه وهذه أهمها :

١ ـ ركاكة اللفظ و يعرف بكثرة الممارسة لألفاظ الحديث النبوى. قال الربيع بن خيثم : إن للحديث ضوءا كضوء النهار تعرفه وظلمته كظلمة الليل تنكره » [2].

٢ ـ فساد المعنى بأن يخالف الحديث بدهيات العقول أو القواعد العامة في الأخلاق والآداب أو يخالف الحس أو قواعد الطب أو ما يوجبه العقل من تنزيه الله،أو يشتمل على سخافات يبعد عنها كل عاقل.

يقول ابن الجوزى : « ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث

---

(١) تدريب الراوى ١. ٢٧٤ ،٢٧٥ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى / ٩٧ - أضواء على مصطلح الحديث / ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٢) تدريب الراوى ١/ ٢٧٥ ـ الباعث الحثيث / ٨١ .

يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فأعلم أنه موضوع»[1].

٣ ـ مخالفته للقرآن أو السنة المتواترة أوالإجماع القطعى ، أما المعارضة مع أماكن الجمع فلا .

٤ ـ مخالفته للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها .

٥ ـ موافقة الحديث لمذهب الراوى وهو متعصب مغال في تعصبه .

٦ ـ اشتمال الحديث على إفراط في الثواب العظيم على العمل الصغير ، أو اشتماله على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير .

٧ ـ أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوفر الدواعي على نقله لوقوعه بمشهد عظيم ثم لا يشهر ولا يرويه إلا واحد [1] .

وهكذا وضع علماء الحديث القواعد العامة التى عرفوا بها الحديث الصحيح من الموضوع ووجهوا جهودهم إلى نقد السند والمتن على السواء .

سابعا : وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييزه :

وضع العلماء قواعد وحدود عامة لتقسيم الحديث وقسموه إلى ثلاثة أقسام : صحيح ، وحسن ، وضعيف ، ووضعوا حدا لك منهم وما ذلك إلا من أجل توثيق السنة والمحافظة عليها .

---

(١) تدريب الراوى ١/ ٢٧٥ ـ أضواء على مصطلح الحديث / ١٢٤ .
(٢) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ٩٩ - ١٠١ .

المبحث الرابع

اهتمام العلماء بالإسناد والحيطة في ذلك

لما كان للإسناد هذه الأهمية فإننا نجد أن الأئمة الأربعة لعلمهم بالأسانيد فإن آرءهم لاتخرج عن إطار القرآن والسنة النبوية فقد كانوا جميعا أصحاب سلسلة صحيحة متصلة عن رسول الله ﷺ ولكل منهم مصنف في علم الحديث ، فالإمام أبو حنيفة له مسند ، والإمام مالك له الموطأ ، والإمام الشافعي له مسنده وكذلك الإمام أحمد ، وعلى النقيض من ذلك نجد بعض من تكلموا في التخصصات ا لأخرى لم يحالفهم الصواب لجهلهم بكيفية دراسة الأسانيد والعمل بها ، ومثال ذلك ما قرأته للدكتور / زكى نجيب محمود في كتابه قيم من التراث فوجدته ينكر حديث الذبابة عندما قرأ مقالا لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى يشرح فيه هذا الحديث فقال معترضا عليه : «ولست أدرى كيف تلقى القراء كلاما كهذا حتى ولو كانت أسانيده مأخوذة لا من علماء ألمانيا وحدهم بل من علماء الأرض جميعا، أقول إنني لا أدرى كيف تلقى القراء كلاما كهذا ، لكن الذى أدريه على وجه اليقين هو وقعه على نفس ، فدع عنك ما أصابني من غثيان إن غثياني قد لا يهم أحدا سواى »[1] أ . هـ

فلقد أخرج الإمام البخارى هذا الحديث في صحيحه عن أبي

---

(١) قيم من التراث د / زكى نجيب محمود ص ١٥٥ .

هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا و قع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ، فإن إحدى جناحيه داء وفي الآخر شفاء »[1].

فلو كان للناقد لهذا الحديث أدنى معرفة بالأسانيد لعلم صحة هذا الحديث ولم يفترى على سنة النبى ﷺ ، فالعلم بالإسانيد بحفظ الإنسان من الخطأ والزلل .

(١) البخارى في صحيحه : كتاب الطب ـ باب إذا وقع ا لذباب في الإناء ١٠/ ٢٦١ رقم ٥٧٨٢ .

الفصل الثاني

العلو والنزول

ويشتمل على أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف العلو والنزول .

المبحث الثاني : أقسام العلو .

المبحث الثالث :أقسام النزول .

المبحث الرابع : ترجيح العلو على النزول والعكس .

المبحث الأول

تعريف العلو والنزول

العالى لغة : اسم فاعل من العلو ضد النزول ، والنازل اسم فاعل من النزول [1].

واصطلاحا : الإسناد العالى : هو الذى قل عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أكثر .

والإسناد النازل : هو الذى كثر عدد رجاله بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعدد أقل [2] .

هذا التعريف من الناحية الإصلاحية ولكنه قد يأتى السند بعدد أكثر من غيره ولكنه يتقدم عليه بفائدة كأن يكون رجاله أوثق من رجال الإسناد الأقل أو أحفظ أو أفقه ، ولذلك علق طاهر بن صالح الجزائرى في كتابه توجيه النظر على ذلك بقوله : « و العالية من الأسانيد ليس على ما يتوهمه عوام الناس يعدون الأسانيد فما وجد منها أقرب عدداً إلى رسول الله ﷺ يتوهمونه أعلى والعالية من الأسانيد هى التى تعرف بالفهم لا بعدد الرجال فرب إسناد يزيد عدده على السبعة والثمانية إلى العشرة وهو أعلى مما ينقص عن ذلك » [3] أ . هـ

---

(١) حاشية لقط الدرر / ١٠٦ .

(٢) المصدر السابق ./ ١٠٦

(٣) توجيه النظر إلى أصول ا لآثر / ١٦٣ .

المبحث الثاني

أقسام العلو

طلب العلو الذى هو قلة الوسائط في السند أو قدم سماع الراوى أو وفاته أمر مسنون عن السلف لا عن النبي ﷺ ، لكون النبي ﷺ لم يصرح بالسند بل فهم من فعله، لكن الصحيح أن ما يفهم من فعله ينزل منزلة قوله ، فيحكم عليه بأنه سنة منه ﷺ (١) .

ولذلك عرّف العلماء الحديث :بأنه ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أوفعل أو تقرير أو وصف خِلْقى أو خُلقى (٢).

وللعلو أقسام ، وأول من قام بتقسيمه هو الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسى المعروف بابن القيسرانى فى كتابه مسألة العلو والنزول في الحديث ، وتبعه ابن الصلاح ومن بعده من المؤلفين في مصطلح الحديث مع شيء من التغيير والتبديل (٣).

وينقسم العلو إلى أقسام خمسة :

أولها : القرب من رسول الله ﷺ بإسناد نظيف غير ضعيف ، فلا إلتفات إلى إسناد ضعيف وإن كان عاليا ، لاسيما وإن كان فيه بعض

---

(١) فتح المغيث ٣/ ٧ .
(٢) حاشية لقط الدرر / ٢ .
(٣) مسألة العلو والنزول في الحديث للحافظ أبى الفضل محمد بن الفضل محمد بن طاهر المقدسى المعروف بابن القيسراني ٤٤٨/ ٥٠٧ هـ تحقيق / صلاح الدين مقبول ص ١٢ .

الكذابين المتأخرين ممن ادعى السماع من الصحابة كأبى هدبة [1]، أو ادعى فيهم الصحبة كالربيع بن محمود المارديني [2].

قال الإمام الذهبى « متى رأيت المحدث يفرح بعوالى هؤلاء فأعلم أنه عامى بعد » [3].أ . هـ

وهذا النوع من أجلّ أنواع العلو ويطلق عليه العلو المطلق ، قال ابن الصلاح في المقدمة « وقد روينا عن محمد بن أسلم الطوسى الزاهد العالم رضى اللهعنه أنه قال: قرب الإسنادقرب ، أو قربة إلى الله عز وجل لأن الإسناد قرب من رسول الله ﷺ ، والقرب إليه قرب من الله عز وجل » [4].

ثانيها : القرب من إمام من أئمة الحديث ذى صفة عالية من حفظ وفقه وضبط كالأعمش ، وابن جريج ،والأوزاعي ، وشعبة ، والثورى ، وغيرهم وإن كثر العدد من ذلك الإمام إلى رسول الله ﷺ لأن الحديث يحصل له رفعة ظاهرة بسبب وجود ذلك الإمام في رجاله بالنسبة إلى

---

(١)أبو هدبة : إبراهيم بن هدبة دجال من الدجالة ، كان رقاصا بالبصرة يدعى إلى الأعراس ، فيرقص فيها ،فلما كبرجعل يروى عن أنس ويضع أحاديث لسان الميزان ١/ ١١٩ ، المجروحين ١/ ١١٤ ، الضعفاء الكبير ١/ ٦٩ .

(٢) الربيع بن محمود المارديني ، كذاب مفتر ، ادعى الصحبة والتعمير ، وتوفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة . المغنى ١/ ٢٢٩ .

(٣) محاسن الاصطلاح / ٢١٤ ـ فتح المغيث ٣/ ١٢ ـ تدريب الراوى ٢/ ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح / ١٢٠ .

سند لم يوجد فيه إمام ، ولم تضره الكثرة المتأخرة إذ الغالب أن مشايخ الإمام ثقاة عظام [1].

فإذا وجد ذلك في إسناد وصف بالعلو نظرا إلى قربه من ذلك الإمام، وإن لم يكن عاليا بالنسبة إلى رسول الله ﷺ ، وذلك لا يوهم أن القرب من رسول الله ﷺ لا يعد من العلو المطلوب أصلا ، لأن القرب منه ﷺ بإسناد نازل نظيف غير ضعيف ، أولى بذلك من إسناد عال ضعيف ، ويطلقون على هذا لنوع العلو النسبى وهو كون عدد رجال السند أقل باعتبار سند آخر ورد به ذلك الخبر بالنسبة إلى إمام مشهور من أئمة الحديث [2].

ثالثها : العلو إلى رواية الصحيحين أو أحدهما أوغيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة وهى السنن الأربعة خاصة لا مطلق الكتب على ما هو الأغلب من استعمالهم ولذا لم يقيده ابن ا لصلاح بالصحيحين وغيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة ، وهو الذى مشى عليه الجمال بن الظاهرى وغيره من المتأخرين حيث استعملوه بالنسبة لمسند أحمد ولا مشاحة فيه [3]وذلك ما اشتهر آخرا من الموافقات والإبدال والمساواة والمصافحة وقد كثر إعتناء المحدثين المتأخرين بهذا النوع .قال ابن الصلاح . وممن وجدت هذا النوع في كلامه :

---

(١) المقدمة / ١٢٠ ـ حاشية لقط الدرر / ١٠٨ .
(٢) شرح نزهةالنظر / ١١٢ - التقييد والإيضاح / ٢٠٠ - فتح المغيث ٣/ ١٥
(٣) فتح المغيث ٣ / ١٢ - ١٣ .

أبو بكرالخطيب الحافظ وبعض شيوخه ،وأبو نصر بن ماكولا، وأبو عبد اللهالحميدى ، وغيرهم من طبقتهم وممن جاء بعدهم [١].

وصورته :أن تأتى لحديث رواه البخارى مثلا ، فترويه بإسنادك إلى شيخ البخارى أو شيخ شيخه وهكذا ، ويكون رجال إسنادك في الحديث أقل عددا مما لو رويته من طريق البخارى [٢].

وهذا القسم على أربعة أنواع :

الأول : الموافقة : وهى أن يروى الراوى حديثا موجودا في إحدى الكتب الستة المعتمدة بإسناد له ، فيصل إلى شيخ مصنف الكتاب من غير طريقه ، مع علو إسناده على طريق المصنف لو روى عنه ، وصورتها : أن يكون الإمام مسلما روى حديثا عن يحيى ، عن مالك عن نافع ، عن ابن عمر ، فترويه أنت بإسنادك عن يحيى بعدد أقل مما لو رويته من طريق مسلم، فهذه تعتبر موافقة ، لأنك اتفقت مع مسلم في شيخه الذى هو يحيى مع علو إسنادك الذى وصلت به إلى يحى من غير طريق مسلم على الإسناد الذى تصل به إلى يحيى من طريق مسلم [٣].

ومن لطيف الموافقة وعزيزها ما وقعت فيه الموافقة لكل من البخارى ومسلم مع أن كلا منهما رواه عن شيخ غير الآخر فيه .

---

(١) المقدمة / ١٣١ .
(٢) الباعث الحثيث / ١٣٧.
(٣) محاسن الاصطلاح / ٢١٦ - الباعث الحثيث / ١٣٧ .

ومثاله مـا ذكره السخاوى قال : روينا من طـريق أبى النعيم قال : حدثنا أبو بـكر الطلحى ، حدثناعـبيد بن غنام ، حـدثنا أبو بكر بن أبي شـيبـة ، حدثنا خـالد بن مـخلد القطواني ، حـدثنا سليمـان بن بلال ، حـدثنا أبوحازم عن سـهل بن سعـد رفـعه : « إن في الجنة بابا يقـال له الريان»[1] فـإن مسلـما رواه عن ابن أبي شـيـبة ، والـبخـارى رواه عن القطواني فوقع لنا موافقة مع اختلاف شيخيهما[2].

الثانى : البدل :وهو «يصل إلى شـيخ شيخ المصنف » والوصـول إلى شـيخ شيـخـه كذلك ، وصـورته :أن ترويه بإسنـاد آخرعن مـالك أوعن نافع أو عن ابن عـمر بعدد أقل أيضـا ، والفرق بينه وبين الموافـقة أن الراوى في البدل يصل إلى شيخ شيخ المصنف وأكثر من ذلك [3].

وقد يرد البدل إلى الموافقة فيقال إنه مـوافقة عالية في شيخ مسلم ولولم يكن ذلك عاليا فهو أيضا موافقة وبدل [4].

قـال ابن الصـلاح : ثم إن المخرجين لا يـطلقون اسم المـوافقـة أو البدل إلا مع العلو ، وحيث فـقد فلا يلتفتـون لذلك ، ولكن قد أطلقه فيهما مع التساوى في الطريقتين ابن الظاهرى وغيره من المتأخرين فإن علا قيل موافقة عالية أو بدلا عاليا [5]. أ. هـ

---

(١) البخـارى في صحيحـه : (٢٠) كتاب الصوم (٤) باب الـريـــان للصائمين ٤/ ١٢٢ رقم ١٨٩٦ . مسلم في صحيحـه : (١٣) كتاب الصيام (٣٠) باب فضل الصيام . ٢/ ٨٠٨ رقم ١١٥٢ .

(٢) فتح المغيث ٣/ ١٦ .

(٣) فتح المغيث ٣/ ١٦ - شرح نزهة النظر / ١١٤ - الباعث الحثيث / ١٣٧ .

(٤) مقدمة ابن الصلاح / ١٣١ .

(٥) علوم الحديث / ٢٥٩ .

الثالث :المساواة : وهى في أعصارنا أن يقل العدد في إسنادك لا إلى شيخ مسلم وأمثاله ، ولا إلى شيخ شيخه بل إلى من هو أبعد من ذلك كالصحابى أو من قاربه وربما كان إلى رسول الله ﷺ بحيث يقع بينك وبين الصحابي مثلا من العدد مثل ما وقع من العدد بين مسلم وبين ذلك الصحابى ، فتكون بذلك مساويا لمسلم مثلا في قرب الإسناد وعدد رجاله [1]. ومثاله : كأن يروى النسائى حديثا يقع بينه وبين النبي ﷺ أحد عشر نفسا ، فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبي ﷺ بيننا فيه وبين النبي ﷺ أحد عشر نفسا فتساوى النسائى من حيث العدد مع قطع النظر عن ملاحظة ذلك الإسناد الخاص [2].

الرابع :المصافحة :وهى الاستواء مع تلميذ ذلك المصنف في العدد إلى النبى ﷺ ،بحيث يكون عدد ما بين كل واحد منهما وبينه ﷺ سواء فيكون ذلك الراوى كأنه صافح ذلك المصنف وأخذ ذلك الحديث عنه ، وسميت المصافحة لأن العادة جرت في الغالب بالمصافحة بين من تلاقيا ونحن في هذه الصورة كأنا لقينا النسائى فكأنما صافحناه [3].

فتقول كأن شيخى سمع النسائى وصافحه .وإن كانت المساواة لشيخ شيخك فتقول فيها : كأن شيخ شيخى سمع النسائى وصافحه ،

---

(١) مقدمة ابن الصلاح / ١٣١ .
(٢) شرح نزهة النظر / ١٥٥ .
(٣) شرح نزهةالنظر / ١٥٥ .

ولك أن لاتذكر في ذلك نسبة بل تقول :كأن فلان سمعه من النسائى من غير أن تقول فيه :شيخى أو شيخ شيخى [1].

قال ابن الصلاح : ثم لايخفى على المتأمل أن في المساواة والمصافحة الواقعتين لك لا يلتقى إسنادك وإسناد المصنف إلا بعيدا عن شيخه ، فيلتقيان في الصحابى أو قريبا منه ، فإن كانت المصافحة التى تذكرها ليست لك بل لمن فوقك من رجال إسنادك أمكن إلتقاء الإسنادين فيهما في شيخ المصنف ،وداخلت المصافحة حينئذ الموافقة ، فإن معنى الموافقة راجع إلى مساواة ومصافحة مخصوصة إذ حاصلهاأن بعض من تقدم من رواة إسنادك العالى ساوى أو صافح مسلما أو البخارى لكونه سمع ممن سمع من شيخهما مع تأخر طبقته عن طبقتهما [2].أ.هـ .

وهذا النوعان « المساواة والمصافحة » لايمكنان في هذا الزمان ولا فيما قاربة من العصور الماضية لبعد الإسناد بالنسبة إلينا ، وكذلك بالنسبة لمن قبلنا من القرن الرابع فمن بعده إلى التاسع ، فهماليس في الحقيقة من العلو ، بل هما علو نسبي بالنسبة لنزول مؤلف الكتاب في إسناده [3].

قال ابن الصلاح:اعلم أن هذا النوع من ا لعلو تابع لنزول إذ لولا

---

(١) مقدمة ابن الصلاح / ١٣١ ، ١٣٢ - فتح المغيث ٣/ ١٨ .
(٢) مقدمة ابن الصلاح / ١٣٢ .
(٣) الباعث الحثيث .١٣٨ .

نزول ذلك الإمام في إسناده لم تعل أنت في إسنادك ثم حكى عن أبى المظفر بن أبي سعد السمانى أنه روى عن الفراوى حديث ادعى فيه أنه كأنه سمعه هو أو شيخه من البخارى فقال أبو المظفر : «ليس لك بعال ولكنه للبخارى نازل » قال ابن الصلاح : وهذا حسن لطيف يخدش هذا النوع من العلو[1].أ . هـ .

ولقد علق الحافظ العراقى على كلام ابن الصلاح قائلا : أطلق ابن الصلاح أن هذا النوع من العلو تابع لنزول وليس ذلك على إطلاقه،وإنماهوالغالب وربما يكون هذا النوع من العلو غير تابع لنزول بل يكون عاليا من حديث ذلك الإمام أيضا ، ومثاله حديث ابن مسعود عن النبى ﷺ قال:« كان على موسى يوم كلمه الله كساء صوف وجبة صوف ..» الحديث رواه الترمذى [2] عن على بن حجر ،عن خلف بن خليفة ،عن حميد الأعرج،عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن مسعود،وقد وقع لنا عاليا بدرجتين :أخبرني به أبو الفتوح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومى ، أنا أبوالفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى (ح) وأخبرنى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الأنصارى بقراءتى عليه بدمشق في الرحلة الأولى ، أنا أحمد بن عبد الدايم المقدسى قالا : أنا عبد المنعم بن عبد الوهاب ،أنا على بن أحمد

---

(١) علوم الحديث . ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢) الترمذى في السنن : (٣١) كتاب اللباس (١٠)باب ماجاء في لبس الصوف ٤/ ١٣ رقم ١٧٣٤ .

ابن محمدبن بيان ، أنا محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد، أنا إسماعيل بن محمد الصفار قال :ثنا الحسن بن عرفة ،ثنا خلف بن خليفة ،عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث،عن عبد الله بن مسعود قال رسول اللهﷺ :« يوم كلم الله موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف »الحديث بهذا الإسناد لا يقع لأحد في هذه الأزمان أعلى منه على وجه الدنيا من حيث العدد وهو علو مطلق ليس تابعا لنزول ، فإنه عال للترمذى أيضا فإن خلف بن خليفة من التابعين وأعلى ما يقع للترمذى روايته عن أتباع التابعين [1]. أ . هـ .

هذه هى الأقسام الثلاثة من علو المسافة ، ويبقى علو الصفة وهوما يرجع إلى صفة الراوى كأن يكون أفقه ،أو أحفظ ، أو أتقن ، أو أضبط أو أكثر مجالسة للمروى عنه ،أو أقدم سماعا من غيره أووفاة وسنبدأ بتوضيحه إن شاء الله .

رابعا : العلو المستفاد من تقديم وفاة الشيخ الذى تروى عنه عن وفاة شيخ آخر وإن تساويا في عدد الإسناد [2].

قال ابن الصلاح : ومثاله ما أرويه عن شيخ أخبرني به عن واحد عن البيهقى الحافظ عن الحاكم أبى عبد اللهالحافظ أعلى من روايتى لذلك عن شيخ أخبرنى به عن واحد عن أبي بكر عبد الله بن خلف

---

(١) التقييد والإيضاح / ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .
(٢) مقدمة ابن الصلاح/ ١٢٣ -الباعث الحثيث / ١٣٨ .

عن الحاكم وإن تساويا الإسنادان في العدد لتقدم وفاة البيهقي على وفاة ابن خلف لأن البيهقي مات سنة ثماني وخمسين وأربعمائة ، ومات ابن خلف سنة سبع وثمانين وأربعمائة [1].

وقد يكون العلو بتقديم وفاة شيخ الراوى مطلقا لابالنسبة إلى إسناد آخر ، ولا إلى شيخ آخر ، وعرّفه الحافظ أحمد بن عمر بن جوصى الدمشقي بمضى خمسين سنة من تاريخ وفاة الشيخ قائلا: إسناد خمسين سنة من موت الشيخ إسناد علو ، وعرّفه أبو عبد الله بن منده بثلاثين تمضى على وفاته قال : إذا مر على الإسناد ثلاثون سنة فهو عال[2].

خامسها : العلو بتقدم السماع من الشيخ ، فمن سمع منه متقدما كان أعلى ممن سمع منه بعده ، كأنه يسمع شخصان من شيخ واحد. أحدهما سمع منه منذ ستين سنة مثلا ، والآخر منذ أربعين ، فالأول أعلى من الثانى ، ويتأكد في حق اختلط شيخه أو خرف ، فيكون سماع من سمع قديما أرجح وأصح من سماع الآخر [3].

---

(١) المقدمة.١٣٢ - تدريب الراوى ٢/ ١٦٨ .
(٢) المقدمة / ١٣٣ - تدريب الراوى ٢/ ١٦٨ - الباعث الحثيث/ ١٣٨ .
(٣) المقدمة / ١٣٣ - تدريب الروای ٢. ١٦٨ - الباعث الحثيث . ١٣٩ .

المبحث الثالث

أقسام النزول

لم أقف فيما أطلعت عليه من مراجع على أحد ذكر أقسام النزول على التفصيل ، وإنما كل ما ورد فيها على سبيل الإجمال كقول ابن الصلاح: وأما النزول فهو ضد العلو ،وما من قسم من أقسام العلو إلى وضده قسم من أقسام النزول فهو إذاً خمسة أقسام وتفصيلها يدرك من تفصيل أقسام العلو[1].

وقد حاولت أن أقوم بتفصيلها على النحوالتالى :

فكما أن العلو على خمسة أقسام كذلك ينقسم النزول إلى خمسة أقسام وهى :

١ ـ البعد عن رسول ﷺ بإسناد ضعيف غير نظيف كأن يكون فيه بعض الكذابين المتأخرين كأبى هدبة ، أوادعى الصحبة كالربيع بن محمود المارديني .

٢ ـ البعد عن إمام من أئمة الحديث ذى صفة من حفظ وفقه وضبط ، والقرب ممن تكلم فيهم بالضعف أو الوضع أوالتكذيب .

٣ - البعد عن رواية الصحيحين أو أحدهما من الكتب المعروفة المعتمدة بعدد من الرجال أكثر مما هوعليه فيها .

---

(١) مقدمة ابن الصلاح/ ١٣٤ .

٤ ـ البعد المستفاد من تأخر وفاة الشيخ الذى تروى عنه عن وفاة شيخ آخر .

٥ ـ البعد بتأخر السماح من الشيخ .

المبحث الرابع

ترجيح العلو على النزول والعكس

لاشك أن الإسناد العالى النظيف عن رسول الله ﷺ مقدم على الإسناد النازل ، لأن العلو يبعد الإسناد عن الخلل ،لأن كل رجل من رجال الإسناد يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً ، ففى قلتهم قلة جهات الخلل ، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل [1].

قال ابن دقيق العيد : لا أعلم وجها جيداً لترجيح العلو إلا أنه أقرب إلى الصحة وقلة الخطأ، فإن الطالبين يتفاوتون في الإتقان والغالب عدم الإتقان ، فإذا كثرت الوسائط ووقع في كل و اسطة تساهل ما كثر الخطأ والزلل ،وإذا قلت الوسائط قل (٢) . أ. هـ .

وحكى ابن خلاد عن بعض أهل النظر أنه قال : التنزل في الإسناد أفضل واحتج له بما معناه أنه يجب الإجتهاد والنظر في تعديل كل راو وتخريحه فكلما ازدادوا كان الإجتهاد أكثر . قال ابن الصلاح : وهذا مذهب ضعيف ضعيف الحجة وقد رويناعن علي بن المدينى وأبى عمرالمستملى النيسابورى أنهما قالا : النزول شؤم (٣) .أ . هـ .

ولذا نجد أن المسألة تحتاج إلى تفصيل : فالعلو المقدم على النزول

---

(١) مقدمة ابن الصلاح / ١٣٠.
(٢) فتح المغيث ٣/ ١٠ .
(٣) مقدمة ابن الصلاح / ١٣٤ .

هو العلو الصحيح الخالى من العيوب ويكون النزول أفضل إذا تميز بفائدة كأن يكون رجاله أوثق من رجال الإسناد العالى أو أحفظ ، أوأفقه ،ولذلك يقول الحافظ أبى الحسن بن المفضل المقدسى :

إن الرواية بالنزول عن الثقات الأعدلينا

خير من العالى عن الجهال والمستضعفينا [1]

---

(١) فتح المغيث ٣/ ١٠ .

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وأشهد أن لا إله الله وحده لاشريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله صلوا ت الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين .

وبعـــد ...

من خلال هذا البحث يظهر لنا أن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها على سائر الأمم بالإسناد ، وأن طلب الإسناد العالى قربة إلى الله تعالى ، ونتيجته الوصول إلى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ بأقصر الطرق ،وكذلك حلاوة الإشتغال والعمل مع رجال الإسناد ،ويتضح من خلال هذا البحث المتواضع ما قام به العلماء من جهود لحفظ علم الحديث رواية ودراية .

ويمكن لنا أن نحصر أثرالعلو في الإسناد فيما يلى :

١ ـ الوصول إلى الحديث الصحيح بأقصر طرق مع الصحة .

٢ ـ الوقوف على عدد أقل في دراسة الرجال فيه لأنه كلما كثر العدد كان عرضة للتجريح وكلما قل العدد كان أقرب إلى الصحة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الأدب المفرد للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخارى المتوفى ٢٥٦ هـ . ط دار المعرفة بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٢ ـ أضواء على مصطلح الحديث أ .د / أحمد عمر هاشم طبعة ١٩٩٧ هـ .

٣ ـ الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للإمام شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن محمد السخاوى المتوفى ٩٠٢ هـ .نشر مكتبة المثنى ببعداد .

٤ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين للشيخ الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ـ طبعة دارا لحديث .

٥ ـ الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لفضيلة الشيخ أحمد شاكر . ط / دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م

٦ـ تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى للحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ت ٩١١ هـ ـ ط / دار الكتب الحديثة بدون تاريخ .

٧ ـ تذكرة الحافظ للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ ط/ دار الفكر بدون تاريخ .

٨ ـ توجيه النظر إلى أصول الأثر / تأليف طاهر بن صالح بن أحمد الجزائرى الدمشقى ط دار المعرفة بدون تاريخ .

٩ـ التقييد والإيضاح لما أطلق وأغلق من مقدمة ابن الصلاح للإمام الحافظ شيخ الإسلام زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى سنة ٨٠٦ هـ . ط/ دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

١٠ ـ تيسير مصطلح الحديث للدكتور محمود الطحان / مكتبة المعارف،الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

١١ ـ التمهيد للإمام أبى عمر يوسف بن عبد البر ا لقرطبى ت ٤٦٣ هـ .ط / الدار البيضاء . المغرب .

١٢ـ جامع بيان العلم وفضله للإمام أبي يوسف بن عبد البر القرطبى ت ٤٦٣ .ط/ دارالأرقم القاهرة - مصورة عن الطبعة الأولى للمطبعة المنيرية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م

١٣ـ الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ا لرازى ط / الهند سنة ١٣٧١ هـ

١٤ـ الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للإمام أبي بكر أحمد ابن ثابت الخطيب البغدادى ت سنة ٤٦٣ هـ ط دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى.

١٥ ـ الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ،ط دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م

١٦ـ حاشيةلقط الدرر للشيخ حسين خاطر العدوى على شرح متن نخبة الفكر لابن حجر طبع بمطبعةعبد الحميد أحمد حنفى .

١٧ـ الرحلة في طلب الحديث للإمام أبى بكرأحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ط دار الكتب العلمية ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م

١٨ ـ السنةقبل التدوين للدكتور . محمد عجاج الخطيب ـ طبعة المكتبة الخاصة بالمدينة ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م .

١٩ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى للدكتور .مصطفى السباعي . طبعة دار السلام ـ الطبعةالأولى ١٤١٨ هـ ـ ١٩٨٨م

٢٠ ـ شرح نزهة النظر علي نحبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ طبعة مكتبة الإيمان .

٢١ـ صحيح مسلم للإمام أبي الحسن بن الحجاج القشيرى النيسابورى ت ٢٦١ هـ . طبعة عيسى الحلبى . الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥ م

٢٢ـ علوم الحديث لأبى عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ت ٦٤٣ هـ طبعة مطبعة الأصيل بحلب ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م .

٢٣ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ ـ طبعة الريان ـ الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م

٢٤ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث للإمام شمس الدين عبد الرحمن بن محمد السخاوى ت سنة ٩٠٢ هـ ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦ م

٢٥ ـ قيم من ا لتراث للدكتور.زكى نجيب محمود - طبعةالهيئةالمصرية العامة للكتاب

٢٦ـ الكامل في ضعفاء الرجال للإمام الحافظ أبى عبد اللهبن عدى الجرجانى ط دار الفكر ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

٢٧ ـ الكفاية في علم الرواية للإمام أبى بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ت ٤٦٣ هـ ـ طبعةدار الكتب العلمية ـ ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م

٢٨ ـ لسان العرب لجمال الدين محمود محمد بن مكرم بن منظور ت ٧١١ هـ ط دار المعارف .

٢٩ ـ محاسن الإصطلاح في تضمين ابن الصلاح للإمام سراج الدين عمر بن رسلان البلقينى الشافعي ت ٨٠٥ هـ ـ ط .دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م

٣٠ ـ مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازى - طبعةدار المعارف .

٣١ ـ المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد آلله الحاكم النيسابوري ط دارالكتب العلمية ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م

٣٢ ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل ط المكتب الإسلامى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م

٣٣ ـ منهج توثيق السنة للإستاذ الدكتور . محمد إبراهيم الفيومى - هدية مجلة الأزهر رمضان ١٣٢٠ هـ

٣٤ ـ « المنهل الحديث »أحاديث مختار ة من صحيح البخارى للإستاذ الدكتور . موسى شاهين لاشين .

٣٥ ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين للحافظ محمد بن صبان ت ٣٥٤ هـ طبعة دار الوعى بحلب . الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ .